



مقدمة:

إن ما يحصل اليوم في الشام أمر تشيب منه الرؤوس، وتنبيه فيه العقول، ولا يثبت أمامه بشر إلا من ثبته الله تعالى. نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تمني لقاء العدو؛ لأنه يعلم ماذا يخلف هذا اللقاء خلفه من قتل وتشريد وتجويع وتميل للنساء وتيتيم للأطفال، ولكنه أمرنا إذا حصل اللقاء أن نصبر ونثبت ولا نفر من الزحف، وأمرنا أن ننصر من استصر، ونعين من طلب الإعانة، قال صلى الله عليه وسلم: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ, لَا تَتَمَّنُوا لِقاءَ الْعَدُوِّ, وَاسْأَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ, فَإِنَّمَا لَقِيْتُمُوهُمْ فَاقْسِبُوهُمْ, وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ طَلَالِ السَّيُوفِ, ثُمَّ قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, وَقَالَ: اللَّهُمَّ مُنْزِلُ الْكِتَابِ, وَمُجْرِيَ السَّحَابِ, وَهَازِمُ الْأَحْزَابِ, اهْزِمْهُمْ, وَانصُرْنَا عَلَيْهِمْ).[1]

والثبات عزيز ولا يكون إلا لمن قوي إيمانه وعظمت ثقته بربه؛ لأن ما يحصل اليوم يبعث على اليأس لو لا ان الله يشرنا بنصر هذا الدين، وبالتمكين للمسلمين، وأن كيد الكفار إلى بوار، وأن أموالهم وأسلحتهم ستكون عليهم حسرة، وأنهم سُيُّغبون، وأن الله سينتقم لعباده المستضعفين، وأنه أعد لهم جنة سينبغون منها لشهادة في سبيله.

فيما عباد الله اصبروا وصابروا وثبتوا وانتظروا فرج الله فإنه قريب، واعلموا أنكم تنتظرون إحدى الحسينين إما نصر وإما استشهاد، فالنصر يقر أعينكم في الدنيا ويشف صدوركم، والشهادة تقر أعينكم في الجنة بجوار ربكم..

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه: كيف ثبتت؟ وما هي الأسباب التي إن فعلناها قوينا على الثبات وكنا كالجبال الراسيات؟ وما هي الأسباب التي إن فعلناها قل صبرنا وثبتتنا؟
هذا ما سنعرفه في خطبتنا هذه..

1- الاطمئنان إلى وعد الله:

عن ثوبان، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض، وإنني سألت ربى لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة، وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم، وإن ربى قال: يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإنني أعطيتك ألمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم، يستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها - أو قال من بين أقطارها - حتى يكون بعضهم يهلك بعضا، ويسبى بعضهم بعضا)[2]

فلو اجتمع من بأقطارها على القضاء على هذا الدين وأهله فلن يستطيعوا؛ لأن الله من وراءه ينصره ويحميه.

قال تعالى: {كَتَبَ اللَّهُ لِأَغْلَبِنَا أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} [سورة المجادلة: 21]

وقال: {إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلُّ خَوَانٍ كَفُورٍ} [سورة الحج: 38]

وقال: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشُوْهُمْ فَزَاَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنَعْمَ الْوَكِيلُ فَانْقَلَبُوا يَنْعَمُهُمْ مِنَ اللَّهِ وَفَضَلِّلَ لَمْ يَمْسِسُهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ} [سورة آل عمران: 173-174]

2- التجلد للعدو:

أمر الله سبحانه عباده بالثبات حين اللقاء فقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيْتُمْ فِتْنَةً فَاثْبُتوْا وَإِنْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}

قال ابن كثير رحمه الله: "هذا تعليمُ الله عباده المُؤمنينَ آدابَ الْلَّفَاءِ، وَطَرِيقَ الشَّجَاعَةِ عِنْدَ مُواجهَةِ الْأَعْدَاءِ" [3]
وقال القرطبي رحمه الله: "فَأَثْبَتُوا أَمْرًا بِالثَّبَاتِ عِنْدَ قِتَالِ الْكُفَّارِ، كَمَا فِي الْآيَةِ قَبْلَهَا النَّهْيُ عَنِ الْفِرَارِ عَنْهُمْ، فَالْتَّقَى الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ عَلَى سَوَاءٍ. وَهَذَا تَأكِيدٌ عَلَى الْوُقُوفِ لِلْعَدُوِّ وَالْتَّجَذُّلُ لَهُ" [4].

وهذا حاصل في الشام بحمد الله، ولكنه يحتاج إلى استمرار؛ لأن الهجمة الآن أكبر من سابقاتها، وليعلم كل من في الشام أن العدو يتآمل كما نتأمل وفرق ما بيننا وبينه أنا نرجو من الله الجنة ومصيره إلى النار وبئس القرار.

3- الاستعانة بالله وكثرة ذكره واللجوء إليه:

إننا نحتاج إلى أن نستعين بالله على هذا العدو الذي اجتمع علينا من كل أقطارها، فقلوبنا عطشى إلى ثبتيه سبحانه، وأفقدتنا ضمئى إلى معيته.

الشعور بالفقر إلى ثبتيه الله تعالى وأنه ليس بنا غنى عن ثبتيه طرفة عين، فإن لم يثبتنا الله ولا زالت سماء إيماننا وأرضه عن مكانها، وقد قال مخاطباً خير خلقه وأكرمهم عليه: {وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتَنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلًا} [سورة الإسراء: 74] وكم نحن بحاجة إلى طلب الثبات من واهبه وأن نتضرع ونبكي ونلح في الدعاء وخاصة عند بداية المعركة والتحام الصفوف، قال تعالى: {وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَاهُولَتْ وَجْنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبَرًا وَتَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَهَرَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ...} [سورة البقرة: 250 – 251]

وقولهم: أفرغ علينا صبراً يُشعرُ بشدة بأس عدوهم وضعفهم أمامه، ولكن بسبب ارتباطهم بربهم كانت نتيجة المعركة حاسمة لهم فهزموهم بإذن الله.

"ولا شك أن الدعاء والتوجه إلى الله - تعالى - في مثل هذه الحال مما يزيد المؤمن المجاهد قوًّا وعزيمةً ومصابرةً للشدائِ" [5]

و خاصة إن كان العدد قليلاً، كما كان حزب الإيمان من أصحاب طالوت في هذه الآية، فكيف لو اجتمع قلة العدد معقلة الناشر مع كثرة الخاذل مع قوة العدو؟!

لا سيما وأن الدعاء مستجاب عن التحام الصفوف، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ثُنْثَانِ لَا تُرَدَّانِ، أُو فَلَّمَا تُرَدَّانِ الدُّعَاءُ عِنْدَ النِّدَاءِ، وَعِنْدَ الْبَأْسِ حِينَ يُلْحِمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا) [6]

وليس فقط على الجبهات وفي المعارك، بل في كل وقت وأن على المسلمين وخاصة أهل الشام أن يتضرعوا وبيثوا شكوكهم وألامهم إلى ربهم، في المساجد والبيوت والمدارس، أن يضج الناس بالتضارع والدعاء بدل أن يقعوا في أعراض المجاهدين غمزاً ولمزاً وتخويناً - إلا من رحم الله -، وبدل أن يشغلوا أنفسهم في تحليل الأحداث، ويسرقوا أوقاتهم في متابعة الأخبار وموقع التواصل، وهذا توجيه من الله العزيز الحكيم في هذا الشأن، قال تعالى: {فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْنَانَ تَضَرَّعُوا} [سورة الأنعام: 43].

ولو سألنا أنفسنا: لماذا طلب الله منا أن نتضرع؟

والجواب: حتى يرى ذلنا وضعفنا وحاجتنا، وعندها إذا علم منا صدقًا فلن يخيب رجائنا، قال تعالى: {إِذْ تَسْتَغْيِثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنَّى مُمْدُكُمْ بِالْأَفْلِفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [سورة الأنفال: 9-10].

وقال: {إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَتَبَّثُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأْلُقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوهُمْ فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوهُمْ كُلَّ بَنَانِ} [سورة الأنفال: 12].

إننا اليوم بحاجة والله إلى أن نتضرع ونبكي ونناشد ربنا أن يثبتنا ويهبنا نصراً.

وذكر الله أيضاً سبب عظيم من أسباب الثبات، قد أرشدنا الله إلى ذلك فقال: {فَأَثْبِتُوْا وَأَذْكُرُوْا اللَّهَ كَثِيرًا} [سورة الأنفال: 45]

لأن ذكر الله يجلب معية الله، وإذا كان الله معنا فمن يستطيع هزيمتنا؟!

قال صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي: (يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني،...)[7]

4- الاعتراف بالذنوب والتقصير وبث ذلك بين يدي الله:

قال تعالى: {وَكَأَيْنَ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعَفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ * وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَأَنْصَرَنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَاتَّهُمُ اللَّهُ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَحَسْنَ ثَوَابُ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [سورة آل عمران: 146 – 148].

فكان الله يقول لأصحاب نبيه يوم أحد: "فهلا فعلتم وقلتم مثل ذلك يا أصحاب محمد؟ فأجاب دعاءهم وأعطاهم النصر والظفر والغنية في الدنيا، والمغفرة في الآخرة إذا صاروا إليها. وهكذا يفعل الله مع عباده المخلصين التائبين الصادقين الناصرين لدينه، الثابتين عند لقاء عدوه بوعده الحق، وقوله الصدق: {وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ} يعني الصابرين على الجهاد".

[8]

كم من معصية ارتكبناها اليوم ونطلب نصراً؟

كم من مظلمة فعلناها اليوم ولم نتحلل منها ونطلب نصراً؟

كم من بلايا ورزايا وانتهاك للحرمات وقصير في الطاعات فعلناه ونطلب نصراً؟!

إذا كان الخطاب السابق للصحابة والرسول قائدتهم فماذا نقول عن أنفسنا؟

معصية منهم بدون قصد كانت سبباً في الهزيمة، فكيف بنا ونحن نبارز الله بالمعاصي؟!

نحتاج إلى أن نعيد حساباتنا مع ربنا، ومع الناس، حتى يصلح الله شأننا.

حال النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر:

وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر يضرع إلى الله بالدعاء وقد رأى كثرة عدد المشركين وقلة عدد المسلمين، فكيف كان حاله؟

روى مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاث مائة وتسعة عشر رجلاً، فاستقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم قبلة، ثم مد يديه، فجعل يهتف بربه: (اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض)، مما زال يهتف بربه، ماداً يديه مستقبل القبلة، حتى سقط رداءه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه، فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله، كفاك مناشرتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله عز وجل: {إذ تستغثون ربكم فاستجاب لكم أني مددكم بآلف من الملائكة مردفين} فأمدده الله بالملائكة، قال أبو زمبل: فحدثني ابن عباس، قال: بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم، فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقياً، فنظر إليه فإذا هو قد خطا أنفه، وشق وجهه، كضربي السوط، فاخضر ذلك أجمع، فجاء الأنباري، فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: (صدقت، ذلك من مدد السماء الثالثة)، فقتلوا يومئذ سبعين، وأسرعوا سبعين. [9]

وقد قال الله عز وجل بعدما بشر المؤمنين بالملائكة: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُولُوْهُمُ الْأَذْبَارَ} [سورة الأنفال: 15].

حال النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق:

ويوم الخندق يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ينقل التراب، وقد وارى الترابُ بياضَ بطنه: (لولا أنت ما اهتدينا، ولا تصدقنا ولا صلينا، فأنزل السكينة علينا، وثبت الأقدام إن لاقينا. إنَّ الْأَلْيَ قَدْ بَعَوْ عَلَيْنَا، إِذَا أَرَادُوا فَتْنَةً أَبْيَنَا) [10]

5- نصر دين الله ونصر أوليائه المتقين:

قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرُكُمْ وَلَنْ يَنْبَتِ أَقْدَامَكُمْ} [سورة محمد: 7].

ونصر دين الله تعالى وأوليائه يكون بطرق عديدة لا يحدها حد ولا تقف عند رسم، فالدعوة إلى الله بجميع صورها نصر لدين الله، وطلب العلم نصر لدين الله، والعمل بالعلم نصر لدين الله، وجهاد الكفار والمنافقين نصر لدين الله، والرد على خصوم الإسلام وكشف مخططاتهم نصر لدين الله، والبذل في سبيل الله والإنفاق في وجوه البر نصر لدين الله، والذب عن أهل العلم والدعوة وأهل الخير والصحوة نصر لدين الله.

وطرائق نصر دين الله وأوليائه كثيرة جعلنا الله وإياكم منهم من أوليائه وأنصار دينه.

6- الإقبال على كتاب الله تلاوة وتعلماً وعملاً وتدبراً:

فالله سبحانه و تعالى أخبر بأنه أنزل هذا الكتاب المجيد ثبيتاً المؤمنين وهداية لهم وبشرى، قال الله تعالى: {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُّسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُبَيِّنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدَىٰ وَيُشْرِكَ لِلْمُسْلِمِينَ} [سورة النحل: 102].

فكتاب الله هو الحبل المتيقن والصراط المستقيم والضياء المبين لمن تمسك به وعمل.

7- المعاصي وأثرها في عدم الثبات:

إن الذنوب والإسراف في الأمور من أسباب البلاء والخذلان، وإن الطاعة والاستقامة من أسباب الثبات والنصر والفلاح، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرُكُمْ وَلَنْ يَنْبَتِ أَقْدَامَكُمْ} [سورة محمد: 7].

ذكر الله - جل وعلا - في هذه الآية الكريمة أن المؤمنين، إن نصروا ربهم، نصرهم على أعدائهم، وثبت أقدامهم، أي عصّهم من الفرار والهزيمة.

وقد أوضح هذا المعنى في آيات كثيرة، وبين في بعضها صفاتَ الذين وعدهم بهذا النصر كقوله تعالى: {وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} [سورة الحج: 40].

"ومنها أن الذنوب والإسراف في الأمور من أسباب البلاء والخذلان، وأن الطاعة والاستقامة من أسباب النصر والفلاح؛ ولذلك سألوا الله أن يمحو من نفوسهم أثر كل ذنب وإسراف، وأن يوفّهم إلى دوام الثبات." [11]

قال ابن القيم رحمه الله: "فمن نَقَصَ إِيمَانَهُ نَقَصَ نَصِيبَهُ مِنَ النَّصْرِ وَالْتَّأْيِدِ، وَلَهُذَا إِذَا أُصِيبَ الْعَبْدُ بِمَصِيبَةٍ فِي نَفْسِهِ أَوْ مَالِهِ، أَوْ بِإِدَالَةِ عَدُوِّهِ عَلَيْهِ، فَإِنَّمَا هِيَ بِذَنْبِهِ! إِمَّا بِتَرْكِ وَاجِبٍ أَوْ فَعْلِ مُحَرَّمٍ وَهُوَ مِنْ نَقْصِ إِيمَانِهِ فَإِذَا ضَعَفَ الإِيمَانُ صَارَ لَهُ دُوَّهُمْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّبِيلِ بِحَسْبِ مَا نَقَصَ مِنْ إِيمَانِهِمْ، فَهُمْ جَعَلُوا لَهُمْ السَّبِيلَ بِمَا تَرَكُوا مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، فَالْمُؤْمِنُ عَزِيزٌ غَالِبٌ مُؤَيَّدٌ مُنْصُورٌ مَكْفُيٌّ مَدْفَوعٌ عَنِهِ بِالذَّاتِ أَيْنَ كَانَ، وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ مَنْ بِأَقْطَارِهَا، إِذَا قَامَ بِحَقِيقَةِ الإِيمَانِ وَوَاجْبَاتِهِ ظَاهِرًا وَبِاطِنًا! وَقَدْ قَالَ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ: {وَلَا تَهْنُوا وَلَا تَحْزُنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} وَقَالَ تَعَالَى: {فَلَا تَهْنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنُ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَرْتَكِمْ أَعْمَالَكُمْ} فَهَذَا الضِّمَانُ إِنَّمَا هُوَ بِإِيمَانِهِمْ وَأَعْمَالِهِمُ الَّتِي هِيَ جَنْدٌ مِنْ جَنُودِ اللَّهِ، يَحْفَظُهُمْ بِهَا وَلَا يُفْرِدُهُمْ عَنْهُمْ وَيَقْطَعُهُمْ عَنْهُمْ فَيُبْطِلُهُمْ عَلَيْهِمْ، كَمَا يَقْرُرُ الْكَافِرُونَ وَالْمُنَافِقُونَ أَعْمَالَهُمْ إِذَا كَانَتْ لِغَيْرِهِ وَلَمْ تَكُنْ مُوَافِقَةً لِأَمْرِهِ" [12]

8- تفائلوا ثبتو:

ديننا حق وربنا حق ولنا في الكون آيات ومعلم، وكم مرت بأمتنا خطوب فزانتها ثباتاً واحتداماً، أمتنا أمّة منصورة ظاهرة باقية مستمرة إلى قيام الساعة، لا تضعف وتنهزم في ناحية إلا وتقوى وتنتصر في ناحية أخرى، وشواهد التاريخ ناطقة: عندما ضعفت الدولة العباسية ظهر السلاجقة المنقذين من سيطرة الباطنية، وعلى إثرهم ظهر نور الدين الذي تصدى

للهجة الصليبية على الديار الشامية، وظهر الغزنويون ينشرون العلم والجهاد في البلاد الأفغانية والهندية، ولما ضعف الإسلام في الديار المغربية والمصرية ظهر صلاح الدين منقذًا بالدولة الأيوبية، ولما استعانت على الأمويين القسطنطينية استسلمت للدولة العثمانية وتحققت البشارة النبوية، ولما أخرج المسلمين من الأندلس انتشر الإسلام في وسط أفريقيا والجزائر الاندونيسية، وهكذا شمس الإسلام لا تغرب في ناحية إلا أشرقت في أخرى، وإن تداعى عليها الأمم كلها، لا يزال الله يغرس في هذه الأمة غرساً يستعملهم بطاعته إلى يوم القيمة.

فكم بادت نخيلٌ في البوادي ولكن نخلةٌ *** الإسلام تنموا على مِنْ العواصف والعوادي

بقوة الله سبوء معاديها بالخيبة والخذلان، ولا قوة أمام قوة الله، وتنقم الجيوش أما جند الله، **{أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُمْ قُوَّةً}** [سورة فصلت: 15].

كم محارب لله فأهلكه، ورماد التاريخ في مزبلته، ففرعون غريق في أنهاره، وقارون مطمورٌ مع داره، وأبو جهل منتُّ في قلبه، ومسيلمة ورستم وريتشارد وجنكير وهولاكو ونابليون وكيلير وأتاتورك وستالين وهتلر والقذافي وشارون أسماء تجبرت وظلت أنها ملكت التاريخ وهي اليوم متقدسة في مزابل التاريخ.

فَسِرْ فِي طَرِيقِكَ مُسْتَعْلِي *** وَدُعْ ضَفَادِهِمْ تَصْطَبِخْ

فمن كان جذلان فليتسلّم *** ومن كان غضبان فلينتحبْ

قال تعالى: **{إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوفًا}** [سورة الإسراء: 81] وقال: **{وَإِنْ تَصْبِرُوْا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا}** [آل عمران: 120] وقال: **{وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ}** [سورة الروم: 47] وقال: **{إِنْ يَنْصُرُكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ}** [آل عمران: 160].

القوّة الحقّ رغم الجاحدين به *** وما سواه قد استعلى وما صمدا

من طار في غير أجواء له خُلِقت *** يهوي ولكن بلا ريش به صَعَدا

بتصرف من كلام للشيخ علي القرني.

1 - البخاري/ 2965، ومسلم/ 1742.

2 - مسلم. 2889.

3 - تفسير ابن كثير. 4/70.

4 - القرطبي. 8/23.

5 - تفسير المنار. 4/142.

6 - أبو داود/ 2540 وصححه الألباني.

7 - البخاري / 7405 - مسلم / 2675.

8 - تفسير القرطبي. 4/231.

9 - مسلم. 1763.

10 - البخاري- الفتح 6 (2837) وهذا لفظه. ومسلم (1803).

11 - تفسير المنار. 4/142.

12 - إغاثة اللهفان (2/182).